# الغنية

## فهرست شيوخ القاضي عياض

٤٧٦-٥٤٤ / ١٠٨٣-١١٤٩

تحقيق

ماهر زهير جرار

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
ص.ب : ١١٣/٥٧٨٧

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٢ - ١٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم
وَبه نستعين

# مُقدّمة التَّحقيق

الحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آل بيته وعترته الطيبين الطاهرين.

أما بعد، فلمّا كانت فهرست شيوخ القاضي عياض ـ الغنية لم تلق العناية المرجوة من الباحثين مع ما لها من أهمية كبرى لما يتحلى به مؤلفها من مكانة رفيعة في تاريخ الفكر في المغرب والأندلس، عقدت العزم على تحقيقها ليستفيد منها العاملون في مجال الدراسات الأندلسية، ولتحتل مكانها بين برامج الشيوخ وفهارسهم.

ولا يخفى على الباحث ما لكتب البرامج والفهارس من أهمية في ضبط الروايات وطرق الأخذ والسماع، ولدراسة الحياة الثقافية في المجتمع وتبيان مدى حركة التفاعل العلمي بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه في السياق الفكري التاريخي العام.

**ماهر زهير جرّار**

# تعريف بالمؤلف والكتاب

## ١ ــ القاضي عياض ٤٧٦ ــ ٥٤٤/ ١٠٨٣ ــ ١١٤٩:

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي[١]. ولد بسبتة[٢] في منتصف شعبان سنة ٤٧٦، وقرأ على مشايخها القراءات والعربية وأصول الفقه وعلم الكلام، وتفقه بالمذهب المالكي فغدا «إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم»[٣].

رحل إلى الأندلس في منتصف جمادى الأولى عام ٥٠٧، فأخذ عن أعلام قرطبة والتقى أبا علي الصدفي بمرسية فسمع عليه كثيراً ولازمه، كما أجازه أبو علي الجيّاني، وحمل عن عدد كبير من جِلَّةِ شيوخ العلم والرواية في الأندلس، ثم عاد

١ انظر ثبتاً بالمصادر التي ترجمت للقاضي عياض في آخر المقدمة التي كتبها الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي على الجزء الأول من ترتيب المدارك (ط. المغرب). وراجع المقدمة المذكورة ومقدمة السيد أحمد صقر على الالماع في تفصيل حياته ومؤلفاته. وانظر كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده محمد (تحقيق الدكتور محمد بنشريفة، الرباط، بدون تاريخ). وقد أصدرت مجلة «المناهل» الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في المملكة المغربية، عدداً خاصاً عن القاضي عياض (العدد ١٩، السنة السابعة، دجنبر ١٩٨٠). وراجع:
«Iyàd,» $EI_2$, IV, pp :289-290, 1978 (M.Talbi).

٢ قال ابن الخطيب: «سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، بسطيّه» (الاحاطة ٤: ٢٢٢).

٣ وفيات الاعيان ٣: ٤٨٣.



إلى بلده سبتة سابع جمادى الآخرة سنة ٥٠٨، فجلس للمناظرة والمشاورة ثم ولي قضاءها عام ٥٢٥. وفي سنة ٥٣١ انتقل إلى غرناطة لِيَلِيَ قضاءها فأقام بها ما يقرب من عام إلى أن سعى تاشفين بن يوسف بصرفه عنها، فعاد إلى سبتة وتولّى قضاءها كرة أخرى عام ٥٣٩، ولاّه ابرهيم بن تاشفين.

ولما تولى الموحدون أمور المغرب والأندلس سارع إلى مبايعتهم، غير أنه ما لبث أن ثار في أهل سبتة سنة ٥٤٣ على نظام الموحدين، فسارع عبد المؤمن بن علي إلى نزال سبتة فامتنعت عليه مُدَيْدَةً ثُمَّ دخلها وأخمد الثورة «وراجع أهل سبتة طاعتهم فتقبل منهم»[١]. قال ابن أبي زُرَع: «فعفا عنهم وعن القاضي عياض وأمره بسكنى مراكش وأمر بهدم سور سبتة فهدم»[٢]، ويبدو أن عياضاً توجه إلى عبد المؤمن في مراكش في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ٥٤٣[٣] صحبة الشيخ أبي يحيى بن الجَبْر وتحت برّه، أي بعد شهور قلائل من هزيمته في سبتة، وربما كان ذهابه باستدعاء من عبد المؤمن، وبقي عياض في مراكش وتوفي بها «مغرباً عن وطنه» أواسط سنة ٥٤٤.

## ٢ ــ كتاب الغنية:

### ( أ ) هل وصلنا الكتاب كاملاً:

يبدو أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب الغنية الكامل الذي ورد ذكره في المصادر الأندلسية. أما ما جاء في آخر نسخة برنستون «كمل الاختصار المسمى الغنية للشيخ الإمام أبي الفضل عياض رحمه الله»، فاعتقد أن المقصود به هو أن هذه الفهرسة لم تتضمن تراجم كل من أخذ عنهم القاضي عياض، وأنه اقتصر فيها على ذكر بعض الروايات والأخبار عن كل شيخ منهم وهذا ما ذهب إليه ابن بشكوال بقوله عند ترجمته لعبد الله بن ادريس «وذكره أبو الفضل في فهرسته الموجزة»[٤].

١ تاريخ ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٩) ٦: ٤٨٤، وانظر ٤٧٤.

٢ الأنيس المطرب بروض القرطاس (دار المنصور للوارقة، الرباط، ١٩٧٣): ١٩١.

٣ التعريف بالقاضي عياض: ١٣.

٤ الصلة ١: ٢٩٢، هامش رقم ٣.

ونحن نجد عدداً كبيراً من الروايات والأخبار عن شيوخ عياض مما لم يُضَمّنه فهرسته هذه مثال ما ورد في كتاب التعريف بالقاضي عياض لولده محمد والمعجم[1] لابن الآبار وبعض كتب عياض الأخرى كترتيب المدارك مثلاً.

أما ما أورده الونشريسي حيث قال:[2] «وفي فهرست القاضي أبي الفضل عياض، رحمه الله، عن الشيخ أبي بكر ابن البراء الخزرجي... الخ»، فيبدو أن الونشريسي نقله عن «التعريف»، وذكر أنه ورد في فهرست شيوخ عياض ظناً منه أن أبا عبد الله محمد بن عياض أخذه عن فهرسة أبيه.

ومما يؤكد ما ذهبتُ إليه ما ذكره عدد من الشيوخ والعلماء ممن وصف الغنية أو نقل عنها. فقد عدَّد محمد بن عياض أسماء شيوخ والده، ونقل كثيراً عن الغنية. غير أن محمداً اضطرب عليه الأمر فيما يبدو حين عدَّد أشياخ والده، مما ترك من أتى بعده في حيرة من أمرهم قال:[3] «انتهى أشياخه الذين ضم إلى فهرسته ممن سمعه أو أجازه، واليسير منهم لقيه وجالسه ولم يسمع منه إلى مائة شيخ حسبما يأتي بعد هذا في تسمية شيوخه، رحمه الله».

وسمى في موضع آخر شيوخ أبيه وذكر عددهم بحسب الحروف:[4] حرف الألف سبعة عشر (وسمّاهم)، حرف الخاء أربعة (وسماهم)، حرف الميم أحد وثلاثون، حرف العين سبعة وعشرون (إلاَّ أنه سمّى ستاً وعشرين)، حرف الغين واحد، حرف السين خمسة، حرف الشين واحد، حرف الهاء اثنان، حرف الياء أربعة.

. وبهذا يكون عدد الأشياخ سبعاً وتسعين إلاَّ أنه سمّى ستاً وتسعين؛ وقال بعد أن ذكرهم:[5] «هذه جملة ما في فهرسته، رحمه الله، وترك جماعة ممن لقيهم

١ المعجم ٣٠٧؛ في ترجمة سراج بن عبد الملك.
٢ المنهج الفائق والمنهل الرائق: ٤٩ ــ ٥٠، وقارن بالتعريف ٧٦ ــ ٧٧.
٣ التعريف: ٩ ــ ١٠.
٤ التعريف: ١١٩ ــ ١٣٢.
٥ المصدر نفسه: ١٣٣.



وذاكرهم وحضر مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة ممن لم يحمل عنهم اقتصاراً على ما ذكره وفيه كفاية».

كذلك نقل ابن الأبار عن الغنية في المعجم والتكملة وذكر أن شيوخ عياض يقاربون المائة[1]، وقال في ترجمة أبي علي الغساني عند ذكر سنة وفاته:

«هذا قول ابن بشكوال في الصلة ووافقه عياض على وفاته في شعبان من السنة دون ذكر يوم ولا ليلة وفي برنامجه المترجم بالغنية ما يخالف هذا وأحسبه وهماً من الناسخ»[2].

وقال ابن الخطيب[3] نقلاً عن محمد بن عياض: «ومما أكمله وقرىء عليه...، كتاب الغنية في شيوخه، جزء».

ونجد أن السيوطي ينقل عدداً كبيراً من تراجم الغنية نقلاً حرفياً ويضمنها في كتابه بغية الوعاة وقد صرح أنه ينقل «عن الغنية في أسماء شيوخ القاضي عياض»[4].

وقد ذكر المقرّي في أزهار الرياض أنه اقتنى نسخة من الغنية قال:[5]

«أردنا أن نذكر في هذه الترجمة مشاهير شيوخ القاضي الإمام أبي الفضل عياض، رحمه الله، وقد قدمنا في الترجمة قبل هذه أسماء بعضهم على سبيل الإجمال حيث جرَّ الكلام إليها، وهذا هو محلها، وقد تكفل رحمه الله بذكرهم في كتابه الذي سماه بالغنية وقد ذكر فيها نحو المائة. وقال ابنه رحمه الله: انتهى عدد اشياخه الذين ذكرهم في فهرسته، ممن سمعه أو أجازه، واليسير منهم لقيه وجالسه ولم يسمع منه، إلى مئة شيخ، انتهى. وقد ذكر كثيراً من أحوالهم في الغنية، ولم تحضرني نسخة منها الآن بفاس، لأني تركت التي عندي بتلمسان، ولم أجد

١ المعجم: ٢٩٥؛ وانظر: وفيات الاعيان ٣: ٤٨٥.
٢ المعجم: ٧٨؛ وانظر ص ٨٢.
٣ التعريف: ١١٧؛ والاحاطة ٤: ٢٢٨؛ وانظر: ٢٢٣ ــ ٢٢٤ حيث سمّى شيوخه.
٤ بغية الوعاة ١: ٥١٣.
٥ أزهار الرياض ٣: ٥٩.

منها بفاس نسخة، وكل ما أذكر هنا من التعريف ببعض أشياخه فهو منقول عن غيرها، وقد يتفق لفظه مع ما فيها».

وقد أشار إلى الغنية أثناء ذكره لتواليف عياض فقال:[1]

ومن تآليفه، رحمه الله، كتاب الغُنْية في أسماء شيوخه، ووقفت عليه بتلمسان وهناك تركت نسختي منه، ولم أقف عليه الآن بفاس بعد طول البحث عنه. وفي مدحه أقول:

غُنْيَةُ القاضي عياض ... غُنْيَةٌ عمّا سِواها
حُلَّةٌ موشية بَل ... روضةٌ طاب جناها
جَمَعَتْ أعْلامَ عِلمٍ ... قَدْرُهم ما إنْ يُضاهى
وَحَكَتْ أخبارَ قومٍ ... عنهمُ العَدْلُ رواها
وكفاها بابن رُشْدٍ ... شرفاً زاد سَناها
كَمْ بها من معلواتٍ ... مُبْهِجَاتٍ مَنْ رآها
فعليه وعليهم ... رَحْمَةٌ لا تتناهى

نستنتج مما تقدم:

١ ــ أن عياضاً قد أكمل الغنية وقرئت عليه في حياته، وأنها موجزة، في جزء.

٢ ــ أن عدد تراجمها نحو المائة دون تحديد، ومع أن ابنه قد ذكر أن عدد شيوخه مائة إلّا أنه عدّ منهم ٩٨ فقط.

٣ ــ كل ما ورد من نقولٍ عن الغنية في المصادر المتأخرة موجود بنصه فيها.

٤ ــ أن عياضاً لم يضمنها جميع تراجم شيوخه واقتصر عند ذكر من ترجم لهم على إيراد بعض أخبارهم، وقد صرح هو نفسه بذلك.

١ أزهار الرياض ٤: ٣٤٨.



**(ب) أهمية الكتاب:**

يعتبر الغنية وثيقة مهمة تبيِّن لنا طرق الاتصال الثقافي والفكري، وحركة التبادل العلمي بين المغرب والمشرق؛ وقد كان لسبتة بحكم موضعها دور فعال في هذا الاتصال، كما كان القاضي عياض بحكم ذيوع شهرته وغزارة معارفه مهيئاً لأن يلعب دور الوسيط، وقد تعدى هذا الدور فترك بصمات واضحة على مجرى الثقافة الإسلامية الأصولية في الفكر الإسلامي في المغرب وتعدت شهرته وأهميته نطاق المغرب، فظلت كتبه قيد التداول والدرس والشرح، وما زالت حتى يومنا هذا. من هنا تبرز أهمية الغنية بما تضمنته من ضبط لسلاسل السند والرواة ولما تلقيه من ضوء على طرق الاتصال الثقافي ونوعية الكتب والمعارف التي كانت سائدة في عصر عياض والتي كان لها دور في تكوين شخصيته الفذّة.

وكتاب الغنية على صغر حجمه عظيم الفائدة إذ تتبيّن من خلاله المصادر التي استقى منها عياض ثقافته الغزيرة العميقة المتشعّبة؛ ولعل أول ما يلاحظه الدارس هو هذا العدد الضخم من الكتب التي رواها وسمعها، إضافة إلى الكثير من الأخبار والروايات كما قُيّض له أن يحمل عن عدد من المشايخ المشرقيين، إما سماعاً أو اجازة فحصَّل علماً جمّاً وصار مدار الرواية في الأندلس عليه.

ومن الغنية يستطيع الدارس أن يرصد التكوين الفكري والثقافي للقاضي عياض، ولكن هذا المبحث لا يمكن استيفاؤه إلا بدراسة شمولية لجميع مؤلفاته، وهو أمر لا تتسع له هذه العجالة، ولهذا اكتفي هنا بالاتكاء على الغنية في تصوّر أهم الانطباعات التي يخرج بها من يقرؤها عن تلك الناحية.

فقد عدّ ابن الخطيب القاضي عياضاً «إماماً مجتهداً»[1]، وهذا أمر لا يتم إلّا بسعة الدراية والدرس وكثرة السماع والفطنة وإتقان جمهرة من العلوم النقلية والعقلية. وبالقاء نظرة على روايته وسماعاته ــ من خلال الغنية ــ تتجلى لنا اهتماماته المختلفة؛ فقد عني أولاً بعلوم التنزيل العزيز وبالحديث وروى عدداً كبيراً من الكتب على كبار أئمة هذا الشأن، وبرع فيها فبلغ شأواً لم يبلغه سابقوه، واهتم

١ الإحاطة ٤: ٢٢٢.